المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 - Electronic ISSN 2790-1254
العدد 18A2 2025 تشرين1
No. 18A2 2025 October

البلاغة العربية في الكلام العربي

مديرية تربية القادسية
م.م. سجى خالد علم الحمد
saja.khaled.alam@gmail.com

الملخص
يُعدّ القرآن الكريم النص الإلهي المقدس الذي نزل بلغة العرب ، ذلك الكتاب المعجز والذي انبثقت منه جلّ العلوم الا وأهمها هو علم البلاغة فللبلاغة منزلة رفيعة بين العلوم العربية، فهي تعنى بملائمة الكلام للمقام الذي قيل فيه ووفائه بالمعنى المراد، ووضوح المعنى وجمال الأسلوب. لاشك ان البلاغة قبل القران كانت محض احكام عفوية تطلق على جودة شعر ذلك الشاعر او براعة ذلك الخطيب،فهي لم ترتقي الى منزلة العلم ، الا ان نزل القرآن فاحدث بأسلوبه وبلاغته العجيبة الاثر الواضح في كلام العرب نثراً وشعراً ، اذ ادهش اسلوب القرآن كل من سمعه، ومن هنا جاءت أهمية البحث في اثر البلاغة القرآنية في الكلام العربي، فكان الهدف هو استدراك واظهار أثر البلاغة القرآنية، فالبحث مقسم على مبحثين المبحث الاول: تناولت فيه التعريف بمفهوم البلاغة لغة واصطلاحاً عند القدماء والمحدثين ، وتسليط الضوء على تاريخ نشأة البلاغة في العصرين الجاهلي والاسلامي ، ثم كيف ارتقى هذا الفن إلى مرتبة العلم والتعريف بمؤسس البلاغة العربية . المبحث الثاني : فكان في أثر البلاغة العربية في الكلام العربي في كتاب إمام البلغاء علي (عليه السلام) لكونه نصاً يحمل كل مقومات أثر بلاغة القرآن فيه ، فتناولت فيه الجانب البياني من تشبيهات واستعارات وكناية).اعتمدت في بحثي على عدة مصادر ومراجع منها (نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام)،كتاب الصناعتين للعسكري ، العمدة للقيرواني، الموجز في تاريخ البلاغة مازن مبارك ، الكشاف للزمخشري ، معجم البلاغة العربية بدوي طبانة ، البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف ...الخ).

الكلمات المفتاحية: البلاغة العربية، الكلام العربي ، نهج البلاغة ، اعجاز القران ، البلاغة القرآنية

Arabic rhetoric in Arabic speech

Assistant Lec. Saja Khalid Alam Al-Hamd
Al-Qadisiyah Education Directorate

Abstract

Therefore, the miraculous book from which most of the sciences, most importantly rhetoric, emerged. Rhetoric holds a lofty position among the Arabic sciences, as it deals with the suitability of speech to the context, its fulfillment of the intended meaning, and its clarity and beauty. Undoubtedly, before the Quran, rhetoric was merely a matter of spontaneous judgments applied to the quality of a poet's verse or the eloquence of an orator. It did not reach such a level until the Quran was revealed, bringing about a profound and wondrous impact on the Arabic language, both prose and poetry. The style of the Quran astounded all who heard it. Hence, the necessity of researching the origins of Quranic rhetoric in Arabic discourse. It is a clarification and a Quranic refinement. The research is divided into two sections. The first section deals with defining the concept of rhetoric linguistically and technically among the ancients and moderns, shedding light on the history of the emergence of rhetoric in the pre-Islamic and Islamic eras, then how this art rose to the level of a science, and introducing the founder of Arabic rhetoric. The second section: The

contribution of Arabic rhetoric to the Arabic discourse in the book of Imam al-Balagha' Ali (peace be upon him) is undeniable. It encompasses all the essential elements of the eloquence of the Qur'an, addressing the rhetorical aspects of similes, metaphors, and metonymy. My research relied on several sources and references, including: Al-Tahrir by al-Zamakhshari, a dictionary; Arabic rhetoric by Badawi Tabana; Rhetoric: Maps of History by Shawqi Daif, etc.
Keywords: Arabic rhetoric, Arabic discourse, Francisco of rhetoric, miraculous nature of the Qur'an, Qur'anic rhetoric

المبحث الأول

كم الصعب الالمام بتحديد مصطلح (البلاغة) ؛ وذلك لأن كلمة (البلاغة) احتوت على كثير من المفاهيم منذ ان كانت تستعمل على مستوى لغة الخطاب في الاستعمال الاعادي ؛ لذلك تحولت دلالة الكلمة وتغير مفهومها لأنها مرت بأزمان متعددة وشهدت تحولات مختلفة ، فلابد من الوقوف على الجذر اللغوي للانطلاق منه إلى اشكال الدلالة الأخرى .

البلاغة في اللغة

البلاغة في الأصل اللغوي : تعني الانتهاء والوصول ، يقال بلغ الشيء أي وصل إليه ، وانتهى إليه ، وتبلّغ بالشيء وصل على مراده ، والبلاغ ما تُبلّغ به ، ويتوصل إلى الشيء المطلوب[1]
واشار ابو هلال العسكري إلى الاصل اللغوي للكلمة فقال : البلاغة من قولهم : بلغت الغاية إذا انتهيت إليها ، وبلغتها غيري ، ومبلغ الشيء منتهاه ، والمبالغة في الشي الانتهاء إلى غايته ، فسميت البلاغة بلاغة ؛ لأنها تنتهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه[2] فالبلاغة عنده صفة للكلام لا صفة المتكلم ، فلهذا لا يجوز أن يسمى الله جلّ وعز بأنه بليغ ، إذ لا يجوز ان يوصف بصفة موضوعها الكلام.
ويقال بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغاً ، ورجل بليغ : حسن الكلام يبلغ بعبارة لسانه كنهنا في قلبه[3]

فالثقافة العربية القديمة تقوم على المشافهة ،"فدلالة البلاغة فيها اتجهت فيها إلى الكلام ، لا إلى الكتابة ، إلى لغة التخاطب لا إلى لغة الكتابة"[4]

البلاغة في اصطلاح القدماء :

وقديماً اختلف اهل العلم في مفهومها ووصفها بيانيا ، أما ابن المقفع المتوفي عام (142هـ) فعرفها بقوله:
"البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة،فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون جوابًا، ومنها ما يكون شعرًا، ومنها ما يكون سمعًا وخطبًا، ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة"[5]
وعرفها الآمدي (370 ه) بأنها: "إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة، سليمة من التكلف، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصانًا يقف دون الحاجة"[6]لقد عرفها الرماني(384ه) بقوله: "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"[7]

وعرفها الجرجاني المتوفى عام (471 ه) بقوله: "البيان هو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقرب إلى القبول وأدعى إلى التأثير وفى. صورتها وأجراس كلِمِها بعذوبة النطق وسهولة اللفظ والإلقاء والخفة على السمع"[8]

أما السكاكي المتوفى عام(626 ه) فقد عرفها بقوله:"هي بلوغ المتكلم فيتأدية المعاني حدًا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها"[9]
وقد أورد ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة طائفة من اقوال البلغاء في تحديد مفهوم البلاغة كما تصورها من وردت هذه الأقوال على ألسنتهم

سئل بعض البلغاء : ما البلاغة ؟ فقال : قليل يفهم وكثير لا يسأم ز وسئل آخر فقال : معان كثيرة في ألفاظ قليلة .

وقيل لأحدهم : ما البلاغة ؟ فقال إصابة المعنى وحسن الإيجاز . وسئل بعض الأعراب : من أبلغ الناس ؟ فقال اسهلهم لفظاً ، وأحسنهم بديهة .
وقال خلف الأحمر : البلاغة لمحة دالة . وقال الخليل بن أحمد : البلاغة كلمة تكشف عن البقية.
وقال المفضل الضبي : قلت لأعرابي : ما البلاغة عندكم ؟ فقال الإيجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل .

وقيل لبعضهم : ما البلاغة فقال : إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع ، ولذلك سميت بلاغة .وقال آخر : البلاغة معرفة الفصل من والوصل ، وقيل هي حسن العبارة مع صحة الدلالة ، وقيل هي : القوة على البيان مع حسن النظام . وقيل لأرسطاطاليس : ما البلاغة ؟ قال حسن الاستعارة .

وقيل لخالد بن صفوان : ما البلاغة ؟ قال : إصابة المعنى والقصد إلى الحجة . كذلك إبراهيم الامام : سئل ما البلاغة ؟ قال : الجزالة والإطالة[10]

ذهب القزويني إلى أن (739 هـ) "البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ... فالبلاغة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى بالتركيب"[11]

تلك طائفة من أقوال البلغاء في تحيد مفهوم البلاغة كما تصورها كل واحد منهم ومنها يمكن تحيد مفهوم البلاغة بأنها (البلاغة هي وضع الكلام في موضعه اللائق به من طول وإيجاز و فصل ووصل، وتأدية المعنى من جهة المعنى، و على أكمل وجه من الصحة و الفصاحة من حيث الأسلوب هذا مع مراعاة كل كلام للمقام الذي يقال فيه و لطبيعة المخاطبين به

والحقيقة إن البلاغة كما عرفها بعض المحدثين فن قولي يعتمد على الموهبة وصفاء الاستعداد، ودقة إدراك الجمال، و تبين الفروق الخفية بين شتى الاساليب[12]

أحمد الشايب، فقد عرفها متأثرًا بقوله: "إن البلاغة فن تطبيق الكلام المناسب للموضوع أو للحاجة على حاجة القارئ أو السامع"[13]

أما أمين الخولي فيقول معرفًا البلاغة: "هي البحث عن فنية القول، وإذا ما كان الفن هو التعبير عن الإحساس بالجمال فالأدب هو القول المعبر عن الإحساس بالجمال، والبلاغة هي البحث في كيف يعبر القول عن هذا الإحساس"[14]

. وقال علي الجمبلاطي في تعريفها : "أما اليوم فيقولون أنها العلم أو الفن الذي يعلمنا كيف ننشئ الكلام الجميل المؤثر في النفوس، أو يعلمنا كيف ننشئ القول الأجمل، إذ البلاغة بهذا التعريف هي التي تتكفل بتقديم القوانين العامة، التي تسيطر على الاتصال اللغوي، وهي التي توضح الطرق والأساليب التي يستطيع بها الأديب أن ينقل عن طريق الكلمات والجمل أفكاره وآراءها إلى القارئ على أحسن وجه ممكن، والبلاغة هي التي تقدم لنا جملة من القواعد التي

ينبغي أن تراعى في نظم الكلام، الذي يأخذ بالنفوس، والتي تسهل عملية الاتصال اللغوي في صور من التعبير الفصيح"[15]

ويعرفها عرفان مطرجي بقوله: "البلاغة هي مطابقة الكلام لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه، وإذا علمنا أن المقتضى هو (الاعتبار المناسب) وأن حال الخطاب هو (المقام) أصبح التعريف على الشكل التالي: "البلاغة هي مطابقة الكلام للاعتبار المناسب للمقام، مع فصاحة ألفاظه"[16]

أما ومن خلال ما تقدم من تعاريف المحدثين، نلاحظ أن هذه التعاريف تقوم على أساس اعتبار البلاغة فنًا يقوم على استخدام الكلام الجميل والمؤثر والملائم للمعنى، إنهم يعتبرون البلاغة علمًا ينظم ويحدد القوانين التي ينبغي أن تحكم الأدب. وهم بتعاريفهم هذه يختلفون مع القدامى في اعتبار البلاغة علمًا تارة وفنًا تارة أخرى، ولكنهم يتفقون معهم في أنها استخدام الكلام الجميل المؤثر في النفس والمناسب للموضوع.

فمن خلال هذه الطائفة من اقوال البلغاء يمكن أن نلتمس عناصر البلاغة ، وهذه العناصر هي:"اللفظ، والمعنى ، وتأليف الألفاظ على نحو يمنحها قوة وتأثيراً حسناً ، ثم الدقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ، وموضوعاته ، وحال السامعين ، والنزعة النفسية التي تسيطر عليهم "[17]

فالبلاغة اذاً - في نظر البلغاء –"ليست أمراً مستقلاً عن اللغة ، بل هي الأمر الذي يساعد اللغة على أداء وظيفتها التي هي التعبير أو الابلاغ وهي شاملة لعنصري اللغة ، المعنى واللفظ "[18]

نشأة البلاغة

في العصر الجاهلي

قد أجمع الباحثون في تاريخ البلاغة العربية أنها لم تنشأ مكتملة الأبواب والمباحث وإنما نشأت - شأن كل علم في بدايته - مجرد أفكار وملاحظات متناثرة على هامش العلوم العربية والإسلامية الأخرى التي سبقتها إلى الوجود والتي لم تكن بدورها قد تبلورت على نحو نهائي

لقد كانت البلاغة في القرون الغابرة والعهود المندثرة لا تخرج عن كونها مجرد مهارات للإبانة والإفصاح عما يجيش في نفس المتكلم من معان، بحيث يتم توصيلها إلى نفس السامع على نحو محكم محسن، يبرهن على ذكاء المتكلم وإدراكه لمتطلبات الموقف، بالإضافة إلى مؤثرات شخصية أخرى، تتعلق بشمائل المتكلم وسنه وسمته، وجماله وطول صمته يقول عبد المتعالي الصعيدي: (إن القبة الحمراء التي كانت تضرب للنابغة الذبياني بسوق عكاظ في العصر الجاهلي ليجلس تحتها، ويأتي إليه الشعراء،ويعرض عليه كل منهم شعره ليميز هو بين حسن الشعر و رديئه ، ويختار أفضله لتدل دلالة واضحة على أن هناك مقاييس معينة كان يختار وفقها أفضل الشعر، وهذا دليل على أن العرب في الجاهلية قد عرفوا البلاغة، ولكن البلاغة الفطرية البسيطة البعيدة عن التقعيد والتعقيد"[19] من ذلك قصته المشهورة في تفضل الأعشى على حسان بن ثابت، وتفضيل الخنساء على بنات جنسها فثار لذلك حسان وقال له: أنا والله أشعر منك ومنها فقال له النابغة حيث تقول ماذا؟ قال حيث أقوله:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى*** وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرّق*** فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال لـه النابغـة إنـك لشـاعر لـولا أنـك قللـت عـدد جفانـك وسـيوفك وقلـت يلمعـن فـي الضـحى ولـو قلـت يبـرقن لكـان أبلـغ فـي المـديح لأن الضـيف بالليـل أكثـر طروقًـا، وقلـت يقطـرن مـن نجـدة دمـا فـدللت علـى قلـة القتـل ، ولـو قلـت يجـرين لكـان أكثـر لانصـباب الـدم، وفخـرت بمـن ولـدت ولـم تفخـر بمـن تفخر بمن ولدك ، فقام حسان منكسرًا[20]

ومن ذلك أيضًا قصة طرفة بن العبد وهو صبي عندما سمع المتلمس ينشد قوله:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره*** بناج عليه الصيعرية مكدم

الصـيعرية سـمة تكـون فـي عنـق الناقـة لا فـي عنـق الجمـل فقـال طرفـة : اسـتنوق الجمـل , فضـحك الناس وسارت مثلا [21]

فيقـول الـدكتور مـازن مبـارك "إن مجمـل مـا نسـتطيع أن نقولـه بصـدد الظـواهر البلاغيـة التـي تضـمنتها أحكـام النقـد فـي الجاهليـة ، أنـه كانـت هنـاك أحكـام نقديـة خاليـة مـن التعليـل ، وان الأحكـام المعللـة قليلـة أصـلاً ، وان مـا علـل منهـا فأغلـب عللـه غيـر بلاغيـة . وحـين يكـون التعليـل متصـلاً بـأمر مـن أمـور البلاغـة فليس معنـى ذلـك أكثـر مـن وجـود حـس ذوقـي صـدر عنـه الحكـم النقـدي وعبَّـر عنـه صـاحبه بشـكل شخصـي أو فـردي وبعبـارى أوضـح : إن البلاغـة أمـراً فطـروا عليـه ، أو هـدتهم إليـه سـلائقهم ، وعشـقته نفوسـهم وألفتـه ألسـنتهم وآذانهـم ، فهـم يعرفونـه ولا يكـادون يختلفون عليه ، ولكننا لم نعرف لهم كلاماً فيه يبيِّن عناصر البلاغة التي كانوا يتوخون"[22]

البلاغة في ظلال القرآن الكريم

سـمع العـرب آيـات الكتـاب المبـين فدهشـوا بمـا عرفـوا فيهـا مـن أسـاليب البلاغـة ، وحـاروا فـي تعليـل دهشـتهم وإعجـابهم ، وهـم أهـل اللغـة وأربـاب البلاغـة ؛ لقـد سـمعوا لغـة مـن لغـة مـن لغـتهم ، وجمـلا مـن حـروفهم ، ولكـنهم لـم يسـمعوا قبلهـا مثلهـا فـي نثـر نـاثر ، ولا شـعر شـاعر ، ولا سـجع كـاهن ،لاشـك أن للقـرآن تـأثيرًا عظيمًـا فـي نشـأة البلاغـة وتطويرهمـا فقـد عكـف العلمـاء علـى دراسـته وبيـان أسـرار إعجـاز هـو اتخـذوه مـدارًا للـدرس البلاغـي فاتخـذوا آياتـه شـواهد علـى أبوابهـا واعتبروهـا مثـالا يحتـذى فـي جمـال النظم ودقـة التركيـب. وهـو كمـا نعلـم كـان النبـي أفصـح العـرب. كمـا كـان شـديد الاهتمـام والعنايـة بالشـعر والشـعراء يحـرص علـى سـماعهم والإشـادة بشـعرهم مـن ذلك قوله لحسان رضي الله عنه" قل وروح القدس يؤيدك " وقوله عندما سمع قول النابغة

الجعدي: بلغنا السماء مجدنا وجدودنا *** وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرًا

فقال لـه النبـي فقـال لـه الرسـول (ص) إلـى أيـن المرتقـى يـا أبـا ليلـى : فقـال إلـى الجنـة لا فـض فـوك. [23]

والعـرب إنمـا عرفـوا البلاغـة فـي القـرآن معرفـة الفطـرة والسـليقة ، لا معرفـة العلـم والاكتسـاب ، وراحـوا يتـدبرون أمـرهم بيـنهم فيمـا يعلّلـون بـه هـذا الكـلام السـاحر والأسـلوب الآسـر ؛ يسـمعه أحـدهم للمـرة الأولـى فـإذا هـو يتـرك ديـن الآبـاء والأجـداد ، وعصـبية الأهـل والنسـب ، فمـا أكثـر الذين سمعوا آية أو آيتين يتلوها الرسول الكريم فإذا هم بعد ذلك مسلمون . [24]

بعـد ان سـحر النـاس بأسـلوب القـران انكـب علمـاء القـران الثـاني وظهـرت الكثيـر مـن المؤلفـات التـي تتعلـق فـي بيـان اعجـاز القـرآن ومـن خـلال هـذا المؤلفـات لهـؤلاء العلمـاء بـدأت بـذرة البلاغـة تنمـو. فيقـول الـدكتور مـازن مبـارك "كـان لموضـوع اعجـاز القـرآن فضـل كبيـر فـي بنـاء صـرح البلاغـة "[25]

فالجاحظ في مؤلفاته يؤكد بأن اسلوب القرآن فريد ونظمه معجزا جعله يقف في كل مناسبة ليدل ويبين على بلاغة التي احتوتها آيات الكتاب المبين ، بل إنه كثير ما يحتج لفصاحة لفظة أو بلاغة أسلوب بوجود نظيره في كتاب الله وهو يقول : "وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد ، مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به"[26]

مؤسس علم البلاغة:

لقد بحث في البلاغة العربية الكثير من الدراسين العرب، إلا أن كتبوه فيها لم يكن غير آراء وإشارات لم يرتقوا بها إلى أن تكون فَنا قائم ما بذاته وفق أسس وقواعد محددة يسير على هديها الأدباء،

وتقاس بمقاييسها فنية أدبهم وسر جماله، والذي صاغها فَنا له قواعده ومبادئه هو عبد القاهر الجرجاني. ولكنه لم يقسم هذا العلم ويبوبه وينظمه، ومن قام بذلك هو السكاكي بعد أن أخذ تلك العلوم عمن سبقه من البلاغيين. ثم جاء القزويني (ت 739 ه) فألّف في البلاغة كتابين: تلخيص المفتاح، والإيضاح وقد ألف الإيضاح ليكون كالشرح لتلخيص المفتاح، وجمع فيه الكثير من البحوث البلاغية العميقة المفيدة.

لذلك اختلفتْ الآراء حول الواضع الأول لعلوم البلاغة فقد ذهب ابن خلدون إلى إن السكاكي هو الواضع لها بينما أشار طه حسين إلى أن الجاحظ هو واضع هذه العلوم بينما ذهب جمهور من العلماء إلى أن الواضع لها هو عبد القاهر الجرجاني. [27]

المبحث الثاني

اثر بلاغة القرآن في الكلام العربي

كان للقرآن ذلك النص العربي المقدس الاثر الكبير والواضح في الكلام العربي شعرا ونثراً . فقد أحدث تحولا جذرياً على صعيد الفنون العربي ويظهر الأثر الجلي في الشعر والنثر وقد أكد ابن خلدون ذلك اذا يقول "إن كلام الاسلامين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلين ... والسبب في ذلك ان هؤلاء ادركوا الاسلام وسمعوا الطبقة العالية من كلام القران الذي عجز البشر على الاتيان بمثله فنهضت طباعهم وارتفعت ملكاتهم في البلاغة عن ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية "[28]

وكان الأثر الحقيقي المبكر للقرآن في الكلام العربي على لسان الامام علي (عليه السلام) فما وصلنا من كلامه المجموع في (نهج البلاغة) يعد من أظهر تجليات الأثر القرآني في الأدب العربي لسبب واضح هو أن المعاني الإسلامية ذائبة في نفس الإمام علي (عليه السلام) فقد "كان مما أنعم الله على علي بن أبي طالب أنه كان في حجر رسول الله قبل الاسلام"[29] لهذا نشأ الإمام (عليه السلام) حافظا للقرآن واعيا لآياته.

وكلام الامام علي (عليه السلام) وخطبه تشكل "تراثاً جماً يمثل قدرة هذه الأمة العظيمة على خلق والإبداع متمثلة بقابلية الامام البلاغية وقدرته في التعبير عن شتى المعاني بأسلوب رائع مؤثر . وقد استمدت معانيه وأفكاره من معين القرآن الذي نهل أبه ، وارتوى من آياته"[30]

كان الامام علي شديد التأثر بالقرآن الكريم قولا وفعلا وعمل على ترسيخ الثقافة القرآنية في أذهان الناس بلفت أنظارهم إلى وجوب إحلال هذه الثقافة في نفوس وإمكانية استبدال البناء اللغوي الجاهلي بآخر جددي معجز في بنائيه ومعانيه من خلال قدرتها على استيعاب الحياة.

ومن مظاهر التأثير البلاغي القرآني في نصوص الامام علي (عليه السلام) في كتاب نهج البلاغة ويتضح ذلك من خلال الصورة البيانية المتمثلة بالتشبيه كقولة "إنما مثل الدنيا كمثل الحيّة ما ألين مسّها وفي جوفها السم الناقع"[31]

باعتبار الاغرار منها والاغترار فيها ، واستعمال المس للجسم مجاز يراد به أن الانسان إذا مسها أحس بلين ونعومة ، والدنيا ظاهرها لين وباطنها خشن يؤدي الى الهلاك اذا تناول من ملذاتها المحرمة[32]

وأخذ الامام بالصياغة القرآنية نفسها في ايراد المثل ، الصنعة التي جاءت عفو الخاطر كلامه (عليه السلم) في التجنيس بين مسها وسمها وكل تلك الصياغات مما تشكلت منه كثير من أمثال القرآن في صفة قصر الدنيا وانتهائها[33] نحو قوله تعالى: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[34]

وقد يعمد الامام في بعض تشبيهاته إلى اجتزاء المثل القرآني واختزاله بعد توظيف صورته في موقف فني آخر .

قال الامام في رأي من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل : "من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ فإن أصاب خاف أن يكون أخطأ. وإن أخطأ"[35] ، ووجه هذا التمثيل "أن الشبهات التي تقع على ذهن مثل هذا الموصوف إذا قصد حل قضية مبهمة تكثر فيلبس على ذهنه وجه الحق منها فلا يهتدي له لضعف ذهنه"[36]

فكأن تلك الشبهات في الوها نسج العنكبوت وكأن ذهنه الذباب الواقع فيه ومثلما لا يستطيع الذباب استنقاذ نفسه من شباك العنكبوت كذلك ذهن هذا الرجل إذا وقع في الشبهات لا يعتدي إلى وجه الحق ليخلص نفسه مما التبس عليه[37]

وهذا المثل مأخوذ من قوله تعالى في عبادة الأصنام : (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[38]

ولبيان مزيد مما اختصت به الصورة الاستعارية القرآنية من مزايا من خلال أثرها في نهج البلاغة ، إذ ثمة تقف لأسلوب التعبير القرآني سواء كان ذلك بالإكثار من اللغة الاستعارية بشكل عام أو بتلمس كثير من الصور الاستعارية في كلام الامام (عليه السلام)

وبشكل عام يبدو أن الإمام (عليه السلام) في استعاراته المتأثرة بتعبير الكتاب العزيز يضع فيها الاصل القرآني نصب عينيه ثم يعمل على توليد فروع كثيرة من الصور عليه [39]

وفي بعض الاستعارات التمثيلية نجد الامام (عليه السلام) يستمد من القرآن صوراً يجمعها ويضيف إليها بحيث تبدو كل صورة فيه تأخذ بحجر أختها كما يقول الزمخشري [40]

يقول (عليه السلام) في معرض الحديث من الشيطان:"فاحذروا عباد الله أن يعديكم بدائه ، وأن يستفزكم بندائه وأن يجلب عليكم بخيله ورجله ، فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد ، وأغرق لكم بالنزع الشديد ، ورماكم من مكان قريب "[41] ويعرض الإمام (ع) تمكن الشيطان من العباد فيأتي بصور هذا المعنى من القرآن الكريم أو ينقلها بتوظيف جديد أو يضيف إليها صورا أخرى من استعاراته هو في أسلوب اختص به "والأسلوب يطلق على ما ندر ودق من خصائص الخطاب التي تبرز عبقرية الإنسان وبراعته فيما يكتب ويلفظ"[42]

فقولـه : (عـدو الله) مـن قولـه تعـالى (إِنَّ الشَّـيْطَانَ لَكُـمْ عَـدُوٌّ فَاتَّخِـذُوهُ عَـدُوّاً)[43]وقولـه تعـالى: (يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ)[44]

وقولـه : (يعـديكم بدائـه) مـأخوذ مـن وصـف الله تعـالى لإبلـيس بـالكبر والحميـة وشـبه تعلـم النـاس ذلك منه بالعدوى "لاشتراك الأمرين في الانتقال من أحد الشخصين إلى الآخر"[45]

وقولـه (عليـه السـلام): (يسـتفزكم ...) مسـتقى مـن قولـه تعـالى : (وَاسْـتَفْزِزْ مَـنْ اسْـتَطَعْتَ مِـنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ)[46]

وقولـه (عليـه السـلام) (رمـاكم مـن مكـان قريـب) منقـول بتوظيـف جديـد مـن قولـه تعـالى : وقولـه تعـالى (وَلَـوْ تَـرَى إِذْ فَزِعُـوا فَـلا فَـوْتَ وَأُخِـذُوا مِـنْ مَكَـانٍ قَرِيـبٍ)[47] و(سـهم الوعيـد) لفـظ مسـتعار يعني به الإمام (عليه السلام) قوله تعالى حكاية عن ابليس: (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)[48]

وللكناية القرآنية أثر واضح في تعبيرات الإمام علي (عليه السلام) وفي نهج البلاغة كثير من كنايات القرآن الكريم يقتبس بعضها وينقل بعضها الآخر إلى توظيف جديد كدأب الامام (عليه السلام) دائماً في تأثره بأسلوب التعبير القرآني فمن كنايات القرآن الجديدة تعبيره عن الأرحام بالقرار المكين ، نحو قوله تعالى : (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)[49] ومكين أي مكن لذلك وهيء له ليستقر فيه الجنين[50]

وأخذ الامام بهذه الكناية فقال من خطبة يصف خلق الإنسان : "ووضعت في قرار مكين إلى قدر معلوم وأجل مقسوم"[51]

إذن الإمـام (عليـه السـلام) انبعـث فـي سـلوكه مـن ثقافـة قرآنيـة وعاهـا وذاب فـي معانيهـا فجسـد فـي عملـه مثلمـا جـرت علـى لسـانه بيانـا وإبـداعا كمـا سـنرى ، لأن لغـة الإمـام تطـابق صـادق بـين الإيمـان والعمل بين المعنى والأداء اللفظي .

وخلاصـة الأمـر إن سـيرة أميـر المـؤمنين (عليـه السـلام) كلهـا تنطـق بآيـات الكتـاب العزيـز سـلوكا وقـولا ،لـذلك كانـت لغتـه الصـدى الحقيقـي للغـة القـرآن الكـريم ، فلـم تجـد ألفاظـه غرابـة فـي أداء الفكـر الإسـلامي العميـق لأنهـا ببسـاطة ألفاظهـا الكـريم ترسـم بهـا جملـة وبنـى عليهـا صـياغاته ، فـنهج البلاغـة بوصـفه أول نتـاج بشـي متـأثر تـأثراً مباشـراً ومبكـراً بأسـاليب التعبيـر القرآنـي والممهـد للتأثير القرآني في الأدب .

فـأثر بلاغـة القـرآن وأسـلوبه القـوي الجـزل الـذي اعجـز العـرب بـه ، هـذا القـران الـنص العربـي المقـدس والـذي انبثقـت منـه جـلّ العلـوم . فظهـرت آلاف المصـنفات والمؤلفـات وشـتى البحـوث والدراسات .إذ أحدث القرآن تغيراً هائلاً في كلام العرب شعراً ونثراً .

ولا بـد مـن الاشـارة إلـى النظـر فـي أسـلوب القـرآن واتخـاذه المقيـاس البلاغـي الأمثـل أدى إلـى النظـر فـي الأسـاليب الأدبيـة : نثرهـا وشـعرها ، والموازنـة فيمـا بينهـا ، فـالكثير مـن الاحكـام البلاغيـة والتـي صـرح بيهـا النقـاد فـي الحكـم بـالجود والابـداع فـي الاعمـال الادبيـة مرجعـة المقيـاس الذي اتخذوه واستمدوا معايره من بلاغة القرآن الكريم .

الخلاصة

كشف البحث مجموعة من النتائج التي توصل إليها يمكن أجمالها

١) صعوبة تحديد مصطلح (البلاغة) ؛ وذلك لأن كلمة (البلاغة) احتوت على كثير من المفاهيم منذ ان كانت تستعمل على مستوى لغة الخطاب في الاستعمال الاعادي ؛ لذلك تحولت دلالة الكلمة وتغير مفهومها لأنها مرت بأزمان متعددة وشهدت تحولات مختلفة.

٢) أجمع الباحثون أن البلاغة العربية لم تنشأ مكتملة الأبواب والمباحث وإنما نشأت - شأن كل علم في بدايته - مجرد أفكار وملاحظات متناثرة على هامش العلوم العربية والإسلامية الأخرى التي سبقتها إلى الوجود والتي لم تكن بدورها قد تبلورت على نحو نهائي

٣) لقد كانت البلاغة في القرون الغابرة والعهود المندثرة لا تخرج عن كونها مجرد مهارات للإبانة والإفصاح عما يجيش في نفس المتكلم من معان، بحيث يتم توصيلها إلى نفس السامع على نحو محكم محسن، يبرهن على ذكاء المتكلم وإدراكه لمتطلبات الموقف،

٤) أن للقرآن تأثيرًا عظيمًا في نشأة البلاغة وتطويرهما فقد عكف العلماء على دراسته وبيان أسرار إعجاز هو اتخذوه مدارًا للدرس البلاغي فاتخذوا آياته شواهد على أبوابها واعتبروها مثالا يحتذى في جمال النظم ودقة التركيب

٥) وكان الأثر الحقيقي المبكر للقرآن في الكلام العربي على لسان الامام علي (عليه السلام) فما وصلنا من كلامه المجموع في (نهج البلاغة) يعد من أظهر تجليات الأثر القرآني في الأدب العربي لسبب واضح هو أن المعاني الإسلامية ذائبة في نفس الإمام علي (عليه السلام).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله. (1959). شرح نهج البلاغة (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم). القاهرة: دار إحياء التراث العربي.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (د.ت). مقدمة ابن خلدون (ط3). مصر: مطبعة النهضة.
- ابن رشيق القيرواني، الحسن بن علي. (د.ت). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد). بيروت: دار الجيل.
- ابن منظور. (د.ت). لسان العرب (تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون). القاهرة: دار المعارف.
- ابن ميثم البحراني. (1404هـ). شرح نهج البلاغة (ط2). طهران.
- الأصفهاني، أبو الفرج. (د.ت). الأغاني (تحقيق: علي مهنا وسمير جابر). بيروت: دار الفكر.
- الإمام علي بن أبي طالب. (1416هـ). نهج البلاغة (جمع الشريف الرضي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2). بيروت: دار الجيل.
- الأفغاني، سعيد. (1974). أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ط3). بيروت: دار الفكر.
- الجمبلاطي، علي. (د.ت). الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية (ط2). القاهرة: دار نهضة مصر.
- الجاحظ. (1938). الحيوان (تحقيق: عبد السلام هارون). القاهرة.
- الجرجاني، عبد القاهر. (1978). أسرار البلاغة. بيروت: دار المعرفة.

- الحفّام، عباس علي حسين. (2011). الأثر القرآني في نهج البلاغة: دراسة في الشكل والمضمون. النجف: العتبة العلوية المقدسة.
- الخطيب القزويني، جلال الدين عبد الرحمن. (د.ت). الإيضاح في علوم البلاغة (تحقيق: لجنة من علماء الأزهر). القاهرة: مطبعة السنة المحمدية.
- ذريل، عدنان. (1983). اللغة العربية والبلاغة.
- الزمخشري، محمود بن عمر. (1966). الكشاف عن حقائق التنزيل. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- السامرائي، مهدي صالح. (1997). تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية. دمشق: المكتب الإسلامي.
- السد، نور الدين. (1971). الأسلوبية وتحليل الخطاب. الجزائر: دار هومة.
- السكاكي. (1403هـ). مفتاح العلوم (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الصعيدي، عبد المتعال. (د.ت). البلاغة العالية: علم المعاني.
- الصفار، ابتسام مرهون. (1974). أثر القرآن في الأدب العربي. بغداد: دار الرسالة.
- ضيف، شوقي. (1965). البلاغة: تطور تاريخ. مصر: دار المعارف.
- طبانة، بدوي. (1967). علم البيان (ط2).
- طبانة، بدوي. (د.ت). معجم البلاغة العربية. جدة/الرياض: دار المنارة ودار الرفاعي.
- الطبري، محمد بن جرير. (1987). تاريخ الرسل والملوك (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط5). القاهرة: دار المعارف.
- عتيق، عبد العزيز. (2009). علم المعاني في البلاغة العربية. بيروت: دار النهضة العربية.
- العسكري، أبو هلال. (1952). كتاب الصناعتين (تحقيق: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
- مطرجي، عرفان. (1987). الجامع لفنون اللغة العربية والعروض. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.
- مبارك، مازن. (د.ت). الموجز في تاريخ البلاغة. دمشق: دار الفكر.
- بن عبد الله، واسيني. (د.ت). مقياس البلاغة العربية (محاضرات).
- الشيرازي، محمد حسين. (د.ت). توضيح نهج البلاغة. طهران: دار تراث الشيعة.
- الكواز، محمد كريم. (2006). البلاغة والنقد: المصطلح والنشأة والتجديد. بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.

الهوامش

(1)ينظر : لسان العرب لابن منظور : تحقيق : عبد الله علي الكبير ، محمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ،دار المعارف ، كورنيش النيل ، القاهرة . ج1 ، ص 345- 346 / ينظر : معجم البلاغة العربية ، د. بدوي طبانة ، دار المنارة ، جدة،دار الرفاعي ، الرياض ، ط 3 ،1988 : ص 77

(2)ينظر: كتاب الصناعتين : لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : محمد علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية ،ط1 ، 1952م، ص19

(3)ينظر : مقياس البلاغة العربية ، د. واسيني بن عبد الله ، محاضرات في مادة البلاغة العربية ، ص 8

(4)البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد : محمد كريم الكواز ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت لبنان ، ط1، 2006 ، ص 8

(5) البلاغة تطور تاريخ ، شوقي ضيف ، طبعة دار المعارف ، مصر ، 1965 ص:20

(6)تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية ، مهدي صالح السامرائي، ط، 1، المكتب الإسلامي، دمشق 1997 ، ص ، 291

(7)أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني دار المعرفة ، بيروت ، 1978، ص 9

(8)علم البيان ، بدوي طبانة ، ط2 ، 1967 ، ص 7

(9)مفتاح العلوم ، للسكاكي ، طبعة دار الكتب العالية ، بيروت ، ط1403،1 ه ، ص : 415

(10)ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني : تحقيق ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ،بيروت لبنان ، ج 1 ، ص 242 – 243

(11)الايضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين بن عبد الرحمن الخطيب القزويني ت 739 هـ ، تحقيق : لجنة من علماء الازهر ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة . ص 9

(12)ينظر : علم المعاني في البلاغة العربية : د. عبد العزيز عتيق : دار النهضة العربية بيروت لبنان، ط1 ، 2009 ، ص 10

(13)اللغة العربية والبلاغة ، عدنان ذريل ، ط1 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، 1983 ، ص 15

(14)المرجع نفسه : ص ، 19

(15)الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية – والتربية الدينية ، علي الجمبلاطي ، ط 2 ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ص 290

(16)الجامع لفنون اللغة العربية والعروض ، عرفان مطرجي ، ط، 1، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، 1987 ، ص ، 22

(17)ينظر : علم المعاني في البلاغة العربية : د. عبد العزيز عتيق : دار النهضة العربية بيروت لبنان، ط1 ، 2009 ، ص 11

(18)الموجز في تاريخ البلاغة :د. مازن مبارك ، دار الفكر ، سوريا – دمشق ، ط1 :77

(19)البلاغة العالية علم المعاني، عبد المتعال الصعيدي، ط : 1 ، ص 35

(20)ينظر: "الأغاني" أبو الفرج الأصفهاني- تحقيق : علي مهنا وسمير جابر ، طبعة دار الفكر، بيروت لبنان ج 9، ص 384

(21)ينظر : اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، سعيد الافغاني ،طبعة دار الفكر، بيروت لبنان ، ط3، 1974 ،ص: 315-316

(22)الموجز في تاريخ البلاغة :د. مازن مبارك ، دار الفكر ، سوريا – دمشق ، ط1 :؛30-31

(23)ينظر : مقياس البلاغة العربية ، د. واسيني بن عبد الله ، محاضرات في مادة البلاغة العربية ، ص 16

(24)الموجز في تاريخ البلاغة :د. مازن مبارك ، دار الفكر ، سوريا – دمشق ، ط1 :؛33-34

(25)المرجع نفسه :ص 45

(26)الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، 1938 م ، ص 90

(27)مقياس البلاغة العربية ، د. واسيني بن عبد الله ص، 10

(28)مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، ط 3 ، مطبعة النهضة ، مصر ، ص 581

(29)تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ، للطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط5 ، دار المعارف ،مصر – القاهرة 1987م / ج2 ،ص 213

(30)أثر القران في الأدب العربي ، الدكتورة ابتسام مرهون الصفار ، دار الرسالة، ط1، بغداد 1974م ، ص186.

(31)نهج البلاغة ، الامام علي (عليه السلام) ، بجمع الشريف الرضي ، تحقيق وشرح : محمد ابو الفضل إبراهيم،بيروت – لبنان ، دار الجيل ،ط2، 1416 هـ ، ج2ص395

(32)توضيح نهج البلاغة ،محمد حسين الشيرازي ، دار تراث الشيعة ، طهران ، بدون تاريخ ،ج4،ص 236

(33)الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون ، عباس علي حسين الفحام ،الناشر : العتبة العلوية المقدسة ،العراق- النجف الاشرف ، 2011 ،ص 154

(34)سورة يونس :24

(35)نهج البلاغة، الامام علي (عليه السلام) ج1/ 55

(36)شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني ، مطبعة خدمات ، ط 2، طهران 1404 هـ ، ج 1،ص 316

(37)ينظر : المرجع نفسه : ج 1،ص 316

(38)سورة العنكبوت : 41

(39)ينظر : الأثر القرآني في نهج ،عباس علي حسين الفحام ،ص 176

(40)ينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل لابي القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت538هـ) ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،بمصر ،1966 ،ج1،ص66

(41)نهج البلاغة، الامام علي (عليه السلام) ج2 ،91

(42)الأسلوبية وتحليل الخطاب (الاسلوبية والاسلوب)، نور الدين السد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط1 ، 1971،ص 65

(43)سورة فاطر : 6

(44)الممتحنة :1

(45)شرح نهج البلاغة ، ابن أبي حديد أبو حامد ، عبد الحميد بن هبه الله المدائني (ت656 هـ) ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، 1959م، ج 13،ص 138

(46)سورة الأسراء :64

(47)سورة ق : 41

(48)سورة سبأ : 51

(49)سورة المؤمنون :13 .

(50)ينظر : الأثر القرآني في نهج ،عباس علي حسين الفحام ،ص 204

(51)نهج البلاغة ،الامام علي (عليه السلام) ج 1، 387